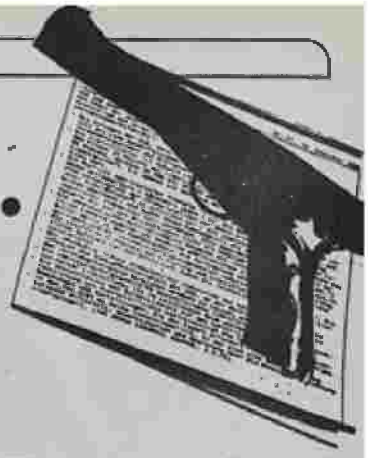

.. وكان الثمن غاليًا!

زهيرة البيلى

أمام أحد الفنادق توقفت سيارة ضخمة .. ونزل منها بسرعة ستة من رجال البوليس . تسللوا الواحد وراء الآخر إلى داخل الفندق .. كانت الساعة الحادية عشرة مساء وقد غربت الشمس توا فوق سماء النرويج فى هذا الشهر من يونيه .

ارتعد بواب الفندق أمام أسئلة أحد الرجال الستة . وأجاب على الفور : « الحجرة رقم ١٨ » وبسرعة صعد الموكب على السلم ولم ينتظروا الأسانسير . طرق واحد منهم باب الحجرة وعندما لم يجب عليه أحد حاول مرة أخرى . وفجأة سمع صوت امرأة شابة تستيقظ من نوم عميق تستفسر عن سر هذه الضوضاء ؟ !

وعندما لم يفتح الباب على الفور .. طلب رجل البوليس من البواب أن يرق هو عملية فتح الحجرة ودخلها بسرعة الثان من رجال البوليس .. بينما بقى الآخرون فى الممر . لقد وجدوا أنفسهم أمام امرأة شابة تحاول ارتداء « الروب دى شمبر » فوق قميص نومها القصير والشفاف جدا . والذى كان على أحدث طراز لموضة عام ١٩٥٧ .. انها امرأة شابة تمشوقة القوام ساحرة الشقراء .. شعرها طويل وعيناها زرقاوان واسعتان ذات وجه بيضاوى وملامح دقيقة . وبدأ أنها مرفوعا بعض الشىء ومع ذلك كان جمالها من نوع خاص مختلف . ولم يتذمر من أنفها أحد .

وأمام هذا الهجوم الفاجىء لرجال البوليس بقيت المرأة مأخوذة جامدة فى مكانها . وفى ذعر أخذت تتأمل باقى الرجال علامتهم الرسمية فى الممر .

وبصوت يرتد مثل ناقوس صغير متصدع تساءلت الشابة التى تبلغ الواحدة والعشرين من عمرها عن السبب الذى وراء هذا الهجوم .. لكن بتذمر شديد أفهمها رجل البوليس بالأسراع فى ارتداء ثيابها وسوف يتضح لها كل شىء أمام المأمور .

وفى أحد ممرات مبنى المحافظة وقف خمرج سيمائى معروف ينتظر .. كان فى ذلك الوقت فى النرويج فاسيطة على الضوضاء .. وعا أن المرأة الشابة « دالى » تعمل عنده « ماكير » حاول الاعتراض والتدخل فى موقف البوليس لكنه أبعد بعنف . سارت « دالى » بصحبة رجال البوليس وأمام نظرات الذهول والدهشة لفريق التمثيل الذى تجمع للاستطلاع . وفى أحد مكاتب المحافظة حجزت « دالى » فى القاعة المخصصة للاستجواب .

لم يكن بوسع المرأة الشابة إلا الانتظار تحت حراسة واحد من رجال الأمن . ومرت عشر دقائق ثم ربع ساعة . ثم نصف ساعة لينساب آخر شعاع للشمس داخل تلك الحجرة الكئيبة وبعد مرور ساعة بالضبط كانت « دالى » فى قلة التوتر .

وفى الساعة الثانية عشرة والنصف من منتصف الليل دخل الحجرة أخيرا رجل برليس صلب يرتدى الملابس المدنية إنه المأمور وألقى عليها سؤالا واحدا محددا .. « ماذا فعلت بالطفل ؟ » « حيا أجيبى . ماذا فعلت بالطفل ؟ » .

أما « دالى » التى كانت على وشك الانهيار أخذت تبحث عن نظرة فى عيى أحد لتتعلق بها . ولكن لم يكن بالقاعة إلا هذا الرجل الصلب وتساءلت المسكينة : « أى طفل ؟ » .

قال المأمور إن المعلومات التى لدى تؤكد أنك وراء عملية اختطاف طفل صغير .

حاولت « دالى » .. أن تتذكر هذه العملية . نعم لقد نقلت الإذاعة والتليفزيون هذا الخبر طيلة أمس .. عن طفل صغير من عائلة ثرية خرج للعب ثم اختفى . أما البوليس النرويجى وفى انتظار طلب الفدية فقد جند بأكمله للبحث عن الطفل ومختطفه .

سألها المأمور : ماذا كنت تفعلين أمس ما بين الساعة الخامسة والثامنة مساء ؟ فأكدت له المرأة الشابة أنها انتهت من التصوير فى نفس الوقت مع باقى زملائها ثم ذهبت إلى السينما بالطبع .

لم يكن فى إمكان البوليس التحقق من ذلك الأقوال . ولكن الذى حدث أنه كلما أكدت « دالى » .. أنه لا صلة لها بهذه العملية شك المأمور فى أقوالها وفى النهاية غادر المأمور الحجرة تاركا المرأة بمفردها وسط قاعة الاستجواب الباردة .. وفى حوالى الساعة الخامسة صباحا دخلت امرأة .. إنها من رجال البوليس لتخبرها بصفة شديدة جدا أنه فى الامكان أن تذهب فهى طليقة السراح . إذ تم العثور على الطفل أما « دالى » التى مازالت فى ذهول فقد أخذت تسأل : « أريد أن أعرف لماذا إذن أنا هنا ؟ » وعلمت .. أن البوليس تلقى مكالمة تليفونية من مجهول تدينها وتشير إليها بالاتهام .

وعندما عادت المرأة الشابة إلى الفندق ألقت بنفسها على السرير فى راحة تامة ثم ذهبت لتلقى بفريق التمثيل لتواصل عملها وتصورت « دالى » أنها وقعت فريسة لموقف لن يتكرر أبدا لكنها مع الأسف كانت مخطئة .

لقد غادرت المرأة الشابة النرويج فى طريقها إلى استوكهلم حيث تقيم أسرتها . ولكن بعد مرور ستة أشهر وقعت عملية سلب بالقوة . وتلقى رجال البوليس رسالة عاجلة تدين « دالى » ليتكرر نفس السيناريو . لكنه فى هذه المرة لم يكن فى وسع المرأة إثبات براءتها الأمر الذى اضطرها للقضاء يومين داخل السجن . ثم لتم الافراج عنها . بعد أن تم القبض على أفراد العصابة .

وتعود « دالى » ثانيا إلى منزلها . لقد حدث ليس مع أحد أفراد العصابة وهى المرأة شقراء كانت ترتدى « باروكة » .. واهتزت أعصاب « دالى » مشتعلة عندما تبينت فى أحد الأيام طرقات البوليس على الباب . لاتين من رجال البوليس طلبا منها أن ترتدى ثيابها وبسرعة لتذهب معهم إلى مكتب المأمور حيث علمت أنها هذه المرة متهمة فى جريمة قتل . لقد خطف طفل صغير فى الخامسة من عمره وعثر عليه البوليس بعد أن قتل خنقا . وتلقى البوليس رسالة من مجهول مكتوبة على الآلة الكاتبة وبالحروف الكبيرة تشير إلى إدانة « دالى » .

وفى هذه المرة وقبل أن تواجه « دالى » كثرة الاستجوابات . تم القبض على المتهم . لقد كان الاتهام الأول بناء على مكالمة تليفونية من مجهول لا يعرفون له مصدر . وكان البلاغ الثانى عن طريق برقية عاجلة من مكتب بريد استوكهلم . أما البلاغ الأخير فكان عبارة عن رسالة مكتوبة على الآلة الكاتبة بعث بها أيضا من استوكهلم .

وأصبح من المؤكد الآن لرجال الأمن ان حالة من يكن العداء للمرأة الشابة « دالى » لكن من ؟ ولماذا ؟ وعا أن المرأة الشابة تتمتع بجمال خاص فلابد أن الأمر يتعلق « بعشيق » أو متيم مرفوض . وأصر والد « دالى » .. الذى ضاق بما حدث لابنته أن تتقدم بمظلمة للنيابة .

وبدأ رجال البوليس تحقيقا واسعا وغامضا مع كل الأفراد التى كانت لهم علاقات غرامية قديمة بالمرأة الشابة الشىء الذى لم يسفر فى النهاية عن أية نتيجة . والمؤسف حقا أنه على مدى السنوات الثلاث التالية تكرر نفس السيناريو ولمرات عديدة . أما المرأة الشابة بعد أن تعودت على نفس المشهد أصبحت تستقبل رجال الأمن بشىء من الأناقة والقدوء والبرود . لا تسير معهم إلا لإرضاء للضمير .

لكن عندما تكررت نفس الواقعة فى الجزائر أثناء تصوير أحد الأفلام . اتخذ الموقف فى هذه المرة أبعادا خطيرة . فبناء على تعليمات الانتربول سأل اسكوتلانديارد البوليس السويدى الذى اجاب أن « دالى » مطاردة بمدع منظم يتبعها فى كل مكان . لكن حتى هذا لم يعرك أو يقنع التهمة عن المرأة الشابة التى كان عليها أن تبقى لعدة أيام تحت تصرف العدالة . وألا تغادر الجزائر على الأقل لمدة شهر .. وطبقا للمثل القائل « لا يوجد دخان من غير نار » أحيطت « دالى » بهالة حقيقية من الشك والريبة . منذ ذلك الوقت . وبعد أن تأكدت أنها مطاردة فى كل مكان اتخذت الاحتياطات اللازمة فأصبحت لا تذهب إلى أى مكان إلا وهناك شهود . أو تدون مواعيد خروجها وعودتها فى مفكرة صغيرة . حتى إذا ذهبت إلى السينما أو المسرح . كان لابد أن تبلغ عن مكانها . وعندما سافر المخرج وفريقه لتصوير أحد الأفلام فى إيطاليا . اعتذرت « دالى » وهى تحت أشعة شمس نابولى أنها فى مأمن من المطاردة المجهول . إنها فرصة لكى تتخلى عن تلك الاحتياطات المعتادة . وربما كان المخرج منهمكا فى تصوير ديكور رائع فى جنوب نابولى داريين الفريق شمس سرى ومواعيد فى اخفاء عن قصة غرامية بسيطة نشأت بين أحد الممثلين الشبان وواحة سينمائية مبتدئة هى « دالى » ..

لكن للأسف لم يكن هناك الوقت او المجال للتوسع وتشعب الموضوع .

فلا يبقى هنا سوى الإشارة إلى المثل الشاب الذى كان فى السابعة عشرة من عمره وأن « دالى » لم تكن تبلغ سوى

نسيان مشاكلها ، تحت أشعة الشمس الحارقة .

وبعد التصوير لمدة خمسة عشر يوما من العمل المتواصل . ذهب الفريق للقضاء إجازة نهاية الأسبوع فى روما . وفى يوم الاثنين صباحا وأمام استئناف العمل لم يظهر الممثل الشاب الذى تم العثور على جثته هامدة داخل إحدى حجرات الفيلا الكبيرة التى كانت تحت تصرف فريق العاملين بالفيلم . والتى قدمها لهم المنتج . ولقد حددت الوفاة منذ أربع وعشرين ساعة على الأقل بناء على تقرير الطبيب الشرعى وسبب الإسراف فى تعاطى المخدرات .

وكان لتلك الحادثة صدى واسع وتناولتها صحف العالم وأثبتت تحريات البوليس الإيطالى أن امرأة شابة كانت بصحبة القتيل وقضت معه الليلة وربما أن هذا الأخير لم تكن له سوابق بسبب الإدمان . فإن المسئولية كلها وقعت على عاتق تلك المرأة التى تورطت فى الجريمة ومن بين التين أو الثلاثة من المشتبه فيهم كانت « دالى » . ولتأكيد دور المرأة الشابة ظل البوليس الإيطالى محطا طويلا كتب باللغة الإنجليزية وعلى الآلة الكاتبة . أرسل من استوكهلم يفيد صراحة التأكيد . وادعى المجهول فى بلاغه أن « دالى » كانت تستلم أحيانا وفى لحظات الاكتئاب المخدرات .

وقال إنه عندما علم بالحادث من الصحف . لم يستطع أن يمنع نفسه من الربط بين الظروف بعضها والبعض وهذا طبقا لتجربة عاشها بنفسه مع المرأة الشابة منذ عدة سنوات . عندما كان قاصرا وكاد ينتهى نهاية سيئة . حاول البوليس أن يفسر أنه ربما لهذا السبب أراد المرسل أن يبقى مجهولا .

وعندما سأل رجل البوليس « دالى » عن المكان الذى قضت فيه ليلة الحادث . أجابت أنها كانت فى نفس الفيلا ولكنها كانت تشغل حجرة أخرى بمفردها . . ولم تكن تعرف حتى أن الممثل الشاب موجود أيضا . وبدأ من جديد السيناريو المعاد . الاستجواب . وفحص ودراسة مفكرة المواعيد والشهود . لكنه مع ذلك تطورت الأمور إلى أسوأ . الفحص الطبى الذى أجرى « لدالى » بعد ثلاثة أيام من وقوع الحادث لم يبين ما إذا كانت قد تعاطت المخدرات من عدمه وتأكد البوليس أنها بالفعل كانت تشغل حجرة بمفردها . ولكن هذا لا يعنى أن تكون قد قضت ليلة السبت مع الممثل الشاب .

تصميم محمد ابراهيم

وبالرجوع إلى مكتب انتربول استوكهلم . أجاب أن « دالى » معروفة فقط بكونها مطاردة من مجهول ولكن مع ذلك كانت الأدلة كلها قوية ضدها . فالبلاغ محدد . والموقف معقد . لذلك وضعت دالى تحت تصرف قاضى التحقيقات .

وفى استوكهلم خرج رجل ضخم فى الخمسين من عمره يرتدى قبعة ، وقد ربط بعصبية وشاحا حول عنقه خرج من بيته ممتلئا من شدة الغضب ، بعد أن قرأ المغامرة التى جرت « لدالى » ابنته . خرج كالمجنون . عيناه الزرقاوتان تغسلها الدموع الباردة . واتجه إلى قسم البوليس .

وبعد أن طفح به الكيل . حيث إن كل هؤلاء الرجال الذين يزينهم الرسمى فى نظره عاجزون بعيدون عن الحقيقة لذلك قرر أن يقوم بالعملية بنفسه . إنها ابنته هو . لذلك كان لابد من العثور على المسئول عن هذه البلاغات المجهولة . أما رجل البوليس الذى استقبله فى مكتب الانتربول فهو المتخصص أو المسئول عن الآلات الكاتبة . والذى كان فى نفس سن الأب وبنفس العيون الزرقاء الثاقبة .

افترض والد « دالى » أن أربعة خطابات مكتوبة على الآلة الكاتبة شىء يستحق البحث . ومن هنا سوف يمسك بالخيط وأخذ رجل البوليس يفحص الملف الصغير الذى يضم النسخ الأصلية والمصورة للبلاغات التى كتبت على أربع آلات مختلفة . هذا باستثناء البلاغ الأول والبلاغ الأخير . حيث كتبت الرسالة الأولى بالحروف الكبيرة والأخرى بالحروف الصغيرة . وكان الأمل الوحيد أمام الأب هو التعرف على نوع الآلة المستخدمة . وفكر رجل البوليس وفحص طريقة الكتابة فى هذين الخطابين بالذات . وتمكن من تحديد نوع الآلة المستعملة خاصة أن لكل آلة نموذجا أو قاعدة فى الكتابة . فهى مثل الإنسان لها أسلوب وقاعدة وطريقة . وأخذ رجل البوليس يقيس « وتسطرة » عادية مدرجة الطول المطلوب لكتابة مائة حرف . الشىء الذى يسمى بالميزان . وكان هذا الطول ٢٩٠ مليمترا لكل مائة حرف . وبعد فحص اللوح المعدنى الذى كتب عليه حرف « ت » صغير . والذى يكون مكانه فى بعض الآلات الكاتبة فى الوسط وأحيانا عند الحين أو اليسار . كان فى الخطابين غير متناسق . وبفحص الأرقام وجدها مفتوحة فكتب الحرف « ب » وفى النهاية فحص العمود الداخلى للحرف « م » الكبيرة فوجده يزل حتى أسفل . وتوصل رجل البوليس فى النهاية لنموذج الآلة الكاتبة الذى كان « بيكا ١٢ » . أما والد « دالى » فقد بدت عليه الدهشة عندما رأى أمامه نموذجا مصغرا للآلة الكاتبة التى يبحث عنها . وهنا فقط بدأ يشعر بالأمل . ولكنه لكى يحدد رجل البوليس المؤهل الذى يلازم هذا النموذج طلب من والد « دالى » أن يمر عليه بعد ساعتين بعد أن يتصل هو بالسكرتارية العامة للأنتربول والتى تملك مجموعة كاملة لنماذج الآلات الكاتبة فى العالم كله . .

وبعد مرور ساعتين : نقل مكتب انتربول باريس المعلومات المطلوبة التى أفادت أن الآلة الكاتبة من النوع « أوليفيا » التى تحمل باليد . وصناعتها ما بين عامى ١٩٤٥ و ١٩٤٨ والموديل « ستاندار رقم ٨ » وفوق هذا كله توصل رجل البوليس إلى أن هذه الخطابات كتبت باستعمال أصبع واحد .

فرح الأب بكل هذه المعلومات وأسرع إلى الشارع . فالآلة الكاتبة القديمة التى تحمل باليد ولا يحتفظ بها أحد فى المكاتب . ربما تكون فى المنزل داخل دولاب قديم . وكون الرجل العجوز فكرته التى بنى عليها أعماله وكان لابد أن يكون أحد أصدقاء « دالى » القدامى هو السبب بعد أن فشل فى حبه معها أراد الانتقام منها وبشراسة . تماما مثل أى إنسان طعن فى حبه فأراد أن يثأر لنفسه . وكانت فى حياة « دالى » ثلاث قصص حب جادة . توصل الأب إلى العناوين المختلفة . وبما أنه قرر فى البحث بنفسه فقد التحل شخصية عامل يقوم بإصلاح الآلات الكاتبة . واكتشف أن الصديق الأول لم يكن يملك آلة كاتبة : وأن الثانى يعمل فى مكتب تجارى ولا يستخدم إلا الآلات الحديثة وهو فوق ذلك كله متزوج . أما عندما توجه إلى الصديق الثالث استقبله امرأة عجوز .

أصيبت بالدهشة . عندما علمت أن العامل جاء لإصلاح الآلة الكاتبة . . قالت إن ابنها لا يستخدمها مرارا ثم إنها لا تعرف حتى مكانها فهى آلة قديمة . ولكن عندما أصر الرجل أن تريه إياها بحثا معا عنها . وبالفعل كانت داخل دولاب وأخرجتها المرأة باعتصار إنها آلة كاتبة قديمة تحمل باليد من نوع « أوليفيا » .

فحصها بسرعة والد « دالى » وأمام النظرات المشككة للمرأة العجوز أراد الرجل أن يأخذ الآلة بعد أن يعطيها مقابله . ولكنه أمام إلحاح المرأة ووقفها لأن الآلة لا تستحق التجديد قال الرجل على الفور إنه سوف يجربها أولا حتى يتأكد بنفسه من صلاحيتها . وبعد أن كتب عشرة سطور على ورقة بيضاء . . قال للمرأة بارتياح : « إنك على حق ولا داعى لإصلاحها » فقد عملت بما فيه الكفاية .

وجرى الأب مثل اللص الهارب . وبسرعة شديدة ليلتقى بصديقه رجل البوليس لأن صاحب الآلة الكاتبة عندما يعلم بأن هناك من حضر للفحصها سوف يفهم أن أمره انكشف وربما يحاول الهرب . . وبعد نصف ساعة وبفضل العشرة السطور . تعرف البوليس على نفس الآلة بعد مطابقتها للنسخ الأصلية للخطابات .

بعد نصف ساعة أخرى بدأ رجال البوليس استجواب الرجل المجهول . الذى اعترف على الفور . كانت حجته الوحيدة . أن تصرفاته لم تكن جديرة « بدالى » ولكنه مع ذلك لم يحب سواها . لذلك فكر أنها لو قضت بعض الوقت فى السجن فسوف تعود إليه لترتمى بين أحضانه فى شوق وسعادة وتطلب الزواج منه . وكان الأمر صعبا فقد حكم عليه بالسجن لمدة خمسة أعوام بتهمة البلاغات الكاذبة .

ولم يحقق العاشق الولهان إلا مزيدا من الاحتقار من قبل محبوبته بسبب جنون وهم الحب وعندما تفكر كيف كانت حياة « دالى » المسكينة خلال عام واحد . . نقول إنها حقا دفعت الثمن غاليا .

□